﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة: 169]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

رَبْطٌ بَينَ عَداوةِ الشَّيطانِ وما يَتَمَخّضُ عَنْها مِنْ سُوءٍ وفَحْشاءَ وافْتراءٍ عَلى اللهِ

بَعْد أَنْ ذَكَرَ ﷻ في الآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ مُبِينٌ لِلإِنْسَانِ، بَيّنَ في هَذِهِ الآيَةِ مَاذَا يَفْعَلُ مع الإنسان، أي: شرع في ذكر ثَمَرَةَ العَدَاوَةِ، ومَا نَشَأَ عَنْهَا، وهُوَ أَمْرُهُ بِمَا ذَكَرَهُ في الآيَةِ[1]، فالآيَةُ كَالتَّفْصِيلِ لِجُمْلَة عَدَاوَتِهِ، وهي تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾[2]، الّتي ورَدَتْ في سُورَةِ البَقَرةِ بَعْدَ ذلِكَ، في الآيتين 168 و208.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

لفظ (السُّوء) اسمٌ جامعٌ لكلّ آفة وقُبح

1) ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾: مِنَ الجذْرِ (سوء)، وأصلُ هذه المادّةِ يدُلُّ على القُبْحِ، وسُمِّيَتِ النَّارُ سُوأَى، لِقُبْحِ مَنْظَرِهَا[3]، وساء الشَّيْء: قَبُحَ، والسّوءُ نَعْتٌ لكلِّ شيء رَديءٍ، وهو اسمٌ جامعٌ للآفاتِ والدّاءِ[4]، وهوَ: كلُّ ما يَغُمُّ الإنسانَ، والسَّيِّئَةُ: الفِعْلَةُ القبيحةُ[5].

كُلُّ شيْءٍ جاوز قَدْرَهُ المشروع، من أحكام الدّين، فهُو فاحشٌ

2) ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: مِنَ الجذْرِ (فحش)، وأصلُ هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى قُبْحٍ في شَيْءٍ وشَنَاعَةٍ، وكُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ قَدْرَهُ فهُوَ فاحِشٌ، ولَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا يُتَكَرَّهُ[6]، والفُحْشُ والفَحْشَاءُ والفَاحِشَةُ: ما عَظُمَ قُبْحُه من الأفعال والأقوال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [الأعراف: 28][7].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/102، والواحدي، التّفسير البسيط: 3/487.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 5/186.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوء).
(4) الخليل، العين: 7/327.
(5) الراغب، المفردات: (سوء).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فحش).
(7) الراغب، المفردات: (فحش).

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

مَـنْ تَـبِـعَ الـشّـيـطـانَ، ولَـغَ في السّوءِ والـفَـحـشـاءِ، وافْترى عَلى اللهِ بِغيرِ عِلمٍ

يُبَيِّن اللَّهُ تعالى لِلنَّاسِ عَدَاوَةَ الشَّيْطَانِ؛ فهُوَ لَا يَأْمُرُكُمْ إِلَّا بالأَفْعَالِ القَبيحَة، فيُزَيِّنُ لَكُمْ مَعَاصِي اللَّهِ تعالى، مِمَّا لَا يَرْضَاهُ لَكُمْ، ويُوَسْوِس لَكُمْ بِالشَّهَوَاتِ والآثَامِ، إِنَّمَا يَأْمُرُكُم الشَّيْطَانُ بِكُلِّ ذَنْبٍ قَبيحٍ، وبِكُلِّ مَعْصِيَةٍ بَالِغَةِ القُبْحِ، وبِأَنْ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ مِنْ تَحْرِيمِ الحَلَالِ وغَيْرِهِ بِدُونِ عِلْمٍ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَوِيُّ والبَلاغِيُّ:

الاسْتِئنافُ البَيانِيُّ، ومَظاهِرُ الإغْواءِ الشَّيْطانِيّ:

التَّنْبيهُ عَلى أَنّ أَمْـرَ الشَّيْطانِ النّاسَ بالسُّوءِ والفَحْشاءِ، يُعَدُّ عِلّةَ العِلَلِ

قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، اسْتِئْنافٌ، وقَد حَسُنَ هنا لِحاجَةِ الكَلام السّابِقِ إلى تَبْيينٍ وتَفسيرٍ، فالآيةُ "بَيانٌ لوُجوبِ الانتهاءِ عَنِ اتِّباعِهِ، وظُهورِ عَداوَتِهِ، أيْ لا يأمُرُكُم بِخَيرٍ قَطُّ"[2]، فهو "اسْتِئنافٌ لبَيان كَيفيّةِ عَدَاوتِه، وتفصيلٌ لفُنونِ شَرِّه وإفسادِه، وانْحِصارِ مُعامَلَتِه مَعَهُم في ذلك"[3]، وفائدته أنّه يُبيِّن علّةَ كون الشّيطان عدوًّا ظاهرَ العداء، المعبَّرِ عنه في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ في الآية السّابقة، وقد كان قوله تعالى هذا، علّةً للنّهي عَنِ اتّباعِ خطُواتِه، فيَكونُ قَولُه ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾، علّةً للعِلّة، وهذا ما أشار إليه الشّيخ ابن عاشور؛ فقال: "اسْتِئنافٌ بيانيٌّ لقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾، فيؤُولُ إلى كونه علّةً للعلّةِ؛ إذ يَسألُ السّامعُ عن ثُبوتِ العَداوَةِ مَع عَدَمِ سَبْقِ المعرفةِ، ومع بُعْدِ ما بَيْنَنَا وبينَه، فقيل: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾، أي: لأنّه لا يأمركم إلّا بالسّوء ... إلخ، أيْ يُحَسِّنُ لكم ما فيه مَضَرَّتُكم؛ لأنّ عَداوَتَهُ أمْرٌ خَفِيٌّ، عَرَفناهُ مِن آثارِ أفعالِه"[4].

(1) نخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 25.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/213.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 1/188.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/104.

التّفْصيلُ والتّبيينُ في الآيَةِ لِما أُجْمِلَ سابقًا:

الشَّيْطانُ يَدْعُو لِكُلِّ مَفْسَدةٍ مِنَ السّوءِ والفحشاءِ والكذِبِ على اللهِ

في قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، تَفصيلٌ لما أُجْمِلَ في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾، وبيّنَ الفخْرُ الرّازيّ ذلكَ التَّفصيلَ بقوله: "﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، فهذا كالتَّفصيلِ لِجُمْلَةِ عَداوتِهِ، وهو مشتَمِلٌ على أمورٍ ثلاثةٍ، أوَّلُها: ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾، وهو مُتَناوِلٌ جميعَ المعاصي، سواء كانت تلك المعاصي من أفعالِ الجوارحِ، أو أفعالِ القلوبِ، وثانيها: ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾، وهي نوعٌ من السّوء، لأنّها أقبحُ أنواعِهِ، وهو الّذي يُسْتعظَمُ ويُسْتفحَشُ من المعاصي، وثالثها: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، وكأنّه أقبحُ أنواعِ الفحشاء؛ لأنّ وصفَ اللّه تعالى بما لا ينبغي، من أعْظمِ أنواعِ الكبائِرِ، فصارَتْ هَذهِ الجُمْلَةُ كالتَّفسيرِ لِقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، فيَدْخُلُ في الآية أنّ الشّيطانَ يدعُو إلى الصّغائرِ والكبائرِ والكُفرِ والجهْلِ باللّه"[1].

تأكيدُ عَداوَةِ الشَّيْطانِ بِالحَصْرِ بـ ﴿إِنَّمَا﴾:

وَساوِسُ إبْليسَ تُعْمِي البَصَر، وتُخْفي عَلى النّاسِ نُورَ الفكَرِ

دلّ الحصْرُ في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾، على أنّ الشّيطان لا يأمر إلّا بالقبائِحِ؛ لأنّه ذَكَرَهُ بكَلِمَةِ ﴿إِنَّمَا﴾ وهي للحَصْرِ[2]، وفائِدَةُ هذا الحصرِ تأكيدُ عداوَتِهِ للنّاسِ، فهو لا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ.

اسْتِعارَةُ الفِعْلِ ﴿يَأْمُرُكُم﴾، لِإبْرازِ دَورِ الشّيطانِ في الإضْلالِ:

مَكْرُ الشّيْطانِ لا حَدَّ لَهُ، ولَكِنَّهُ لا سُلْطانَ لَهُ عَلى المُؤْمنينَ

وقد اسْتُعيرَ الفعلُ ﴿يَأْمُرُكُم﴾ لتَزيينِ الشَّيْطانِ الأمْرَ، وحَثِّه لَهم على الشّرّ، تسفيهًا لرَأْيِهم، وتَحقيرًا لِشأْنِهم، وممّا يدلّ على أنّ الأمر هنا يُراد به التّزيينُ أنّه ﷻ نَفى أن يكُون للشّيطانِ سُلطانٌ، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 5/186.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 5/187.

بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ [الإسراء: 64- 65]، وأشار إليه الزَّمَخْشَريّ بقوله: "فإنْ قلتَ: كيفَ كان الشّيطان آمِرًا، مَع قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: 42]؟ قلتُ: شبَّه تزيينَهُ، وبعثَهُ على الشّرِّ بأمرِ الآمِرِ، كما تقولُ: أَمَرَتْني نَفْسي بكذا، وتحتَه رَمْزٌ إلى أنّكم منه بمَنْزِلَةِ المأمورينَ لِطاعَتِكُمْ لَه، وقبولِكُمْ وساوِسَهُ؛ ولذلك قال: ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: 119]، وقال اللّٰه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: 53]؛ لما كان الإنسان يطيعُها فيُعْطيها ما اشْتَهَتْ"[1].

وقولُه: "﴿يَأْمُرُكُم﴾ مِن قَبيل الاستعارَةِ التّبعيَّةِ، حيثُ شَبَّهَ بَعثه على الشّرِّ بأمرِ الآمر به، في أنّ كلًّا منهما سببٌ لوقوع الشّرّ، فأطلق اسم المشبّه به على المشبّه، ثمّ اشتقّ من الأمر - بمعنى البعث - لفظ ﴿يَأْمُرُكُم﴾، فيكون استعارة تبعيّة"[2].

دَلالَةُ عَطْفِ الفحشاءِ على السّوءِ في قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾:

المؤمنُ لا يَرْتَكِبُ سُوءًا، ولا يَقْتَرِفُ فحشاءَ، وقوفًا عند حدود الله

السّوءُ والفحشاءُ: ما أَنْكَرَهُ العَقلُ، واسْتَقْبَحَهُ الشّرعُ، والعَطْفُ لاختلاف الوَصفَين، فإنَّهُ سُوءٌ لِاغتِمامِ العَقل بِهِ، وفحشاءُ باستقباحِهِ إيّاه، وقيل: السُّوءُ يَعُمّ القَبائحَ والفحشاءَ بِرُمّتها، ويجاوِزُ الحَدّ في القُبْحِ من الكبائرِ، وقيل: الأوّل ما حُدّ له، والثّاني ما شُرِع فيه الحَدُّ[3]، وهُوَ مِنْ عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ؛ لأنّ السُّوءَ يَشْمَلُ جميعَ المعاصي، والفَحْشاءُ داخِلَةٌ ضِمْنَها، فقَوْلُهُ: ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: "أيْ: أَقْبح أنْواع المعاصي وأعظَمِها مَساءَةً، فالزِّنى فاحِشَةٌ، والبُخْلُ فاحِشَةٌ، وكُلُّ فِعْلةٍ قبيحةٍ فاحشَةٌ"[4]، واسْتُسيغَ هذا العَطْفُ؛ "لِاختلافِ الوَصْفَين؛ فإنّه سُوءٌ لِاغتِمامِ العاقِلِ بِهِ، وفَحْشاءُ باسْتِقباحِهِ إيّاهُ"[5].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/213.
(2) زاده، حاشية على البيضاوي: 2/415.
(3) الخفاجي، عِنَايةُ القَاضي: 2/266 (بتصرّف).
(4) إسماعيل حقي، روح البيان: 1/272.
(5) البيضاويّ، أنوار التنزيل: 1/118.

المُبالَغَةُ بِالوَصْفِ بِالمَصْدَرِ:

"المُغايَرَةُ بَينَ السُّوءِ والفَحشاءِ، بِحَسَبِ المَفْهومِ دونَ الذّاتِ، فإنَّهُ سُمِّيَت المعصيةُ سُوءًا لاغتِمامِ العاقِلِ بها، وفَحْشاءَ باستِقباحِهِ إيّاها، فإطْلاقُ السُّوءِ والفَحشاءِ على المَعْصِيَّةِ، مِنْ قَبيلِ التَّوْصيفِ بالمَصْدَرِ للمُبالَغَةِ، مِثْلَ: رَجُلٌ عَدْلٌ"[1].

المُؤْمِنُ يَغْتَمُّ مِنَ السُّوءِ، ويَسْتَقْبِحُ الفاحِشَةَ

توجيهُ المخصوصِ بِالذِّكْرِ، في قوله: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

إنّ قولَه ﷻ: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، داخلٌ ضمن قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ "وخَصَّهُ بالعَطْفِ، مَعَ أَنَّهُ بَعْضُ السُّوءِ والفَحْشاءِ؛ لاشْتِمالِه عَلى أَكْبَرِ الكَبائِرِ، وهُوَ الشِّرْكُ، والتّقَوُّل على اللّه"[2]، والقَوْلُ على اللّهِ بغيرِ علمٍ هو بدايةُ طريقِ الضَّلالِ، وهو أكثرُ ما يُستهانُ به، ولذلك كانَ مدْخَلَ الشَّيطانِ، فتخصيصُه بالذِّكرِ باعتبارِ الغفلَةِ عن أثرِه القبيحِ في الضَّلالِ، وباعتبارِ التَّحذيرِ منه في جميعِ الأحوالِ.

أكثرُ ما يقعُ النَّاسُ بسببِه في الضَّلالِ القولُ على اللهِ بغيرِ علمٍ

فائدةُ حَذْفِ المَفْعولِ بِهِ في قَولِهِ: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

حُذِفَ المفعولُ به في قوله ﷻ: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، وتقديرُه: مَا لَا تَعْلَمُونَ أنَّهُ مِنْ عِندِ اللّه، بقَرينَةِ قولِه: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾، أيْ لا تَعلمُون أنّهُ يُرضيهِ ويَأْمُرُ به، وطَريقُ معرفةِ رضا اللّه وأمرِه، هُو الرُّجوع إلى الوحي"[3]، وفائدتُه التَّنبيهُ على خطورةِ الجهلِ، والقولِ على اللّه بغيرِ علم، وأنَّ العوْدَةَ إلى الوحي هي أوفقُ معاييرِ الحقِّ.

طَريقُ مَعْرِفَةِ رِضا اللهِ وأمْرِهِ، هُوَ الرُّجوعُ إلى الوَحْيِ

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

السُّوء والفَحْشاء:

السّوءُ: يدلُّ على القُبْحِ[4]، والسَّيِّئَةُ: الفِعْلَةُ القَبيحَةُ[5]، وَالفَحْشَاءُ:

(1) إسماعيل حقي، روح البيان: 1/272.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/105.
(3) المصدر السّابق: 2/105.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوء).
(5) الراغب، المفردات: (سوء).

كـل مـا عَـظُـمَ قُبْحُه مِنَ الأفْعالِ والأقْـوالِ، مِـنْ سُوءٍ أو فاحِشَةٍ، فهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ

تَدُلُّ عَلَى قُبْحٍ في شَيْءٍ وشَنَاعَةٍ، وكُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ قَدْرَهُ فهُوَ فاحِشٌ[1]، والفُحْشُ والفَحْشَاءُ والفَاحِشَةُ: ما عَظُمَ قُبحُهُ مِنَ الأفْعالِ والأقْوالِ، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [الأعراف: 28][2].

فالسُّوءُ: كُلُّ فِعْلٍ قَبيحٍ، والفاحِشَةُ: ما عَظُمَ من تلك الأفعال القبيحَةِ، فكُلُّ فاحِشَةٍ سُوءٌ، وليس كُلُّ سُوءٍ فاحشةً.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فحش).
(2) الراغب، المفردات: (فحش).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»